دردشة

د. شاكر خصباك

(صالة فندق صغير. تطلّ نوافذ الصالة على جبال مكسوّة بالأشجار، مدخل الصالة ينفتح على باب الفندق الرئيسي. في ركن من الصالة سلّم يؤدي إلى غرف الطوابق العليا. ينزوي مكتب مدير الفندق في ركن من الصالة ووراءه لوحة عليها مفاتيح الغرف.

حركة دائبة في الصالة. النزلاء يدخلون ويخرجون ويصعدون إلى الغرف العليا ويهبطون منها، وقد يقاطعون الحوار الدائر أحياناً بأسئلتهم لمدير الفندق. سعدون ووحيد يجلسان متجاورين على مقربة من مكتب الفندق).

سعدون ـ تأخّر اليوم الأستاذ عبُّود عن موعد نزهتنا العصريّة.

وحيد ـ ليس من عادته أن يتأخّر إلى هذه الساعة.

رسول ـ بلي(*). . كاكه عبود تأخّر.

سعدون ـ أتتصوَّر أنّه تأخّر في النوم يا سيِّد وحيد؟

وحيد ـ لا أظنّ. . لعلّه يقرأ في الفراش.

رسول ـ (وهو يمدّ يده إلى التلفون) سأتّصل به إذا أحببتم.

وحيد ـ لا. لا داعي، لعلّه ينزل بعد قليل.

سعدون ـ ولكن سيفوتنا مراقبة مشهد غروب الشمس من على رأس الوادي. لم يبق على غياب الشمس سوى نصف ساعة.

وحيد ـ نحن حفظنا هذا المنظر يا عقيد سعدون. فلماذا لو فاتنا اليوم؟

رسول ـ (وهو ينظر إلى السلّم) جاء كاكه عبود.

(يهبط عبُّود إلى الصالة ويلقي التحيّة ويتّخذ مقعداً بجوار سعدون).

سعدون ـ خيراً يا أستاذ عبُّود. تأخّرت عن ميعاد نزهتنا العصريّة.

عبُّود ـ (وهو ينظر في ساعة يده) هذا صحيح. . تأخّرت.

سعدون ـ (وهو يبتسم) أخذتك النومة اليوم كما يظهر يا أستاذ عبود.

عبود ـ لم أكن نائماً في الحقيقة. . كنت أستريح في الفراش.

وحيد ـ كنت تقرأ؟!

عبود ـ كنت متمدِّداً فقط يا وحيد. . شعرت بشيء من التعب بعد أن فرغت من مقالي الأسبوعي.

سعدون ـ (وهو يتهيّأ للنهوض) إذن هيّا بنا نتمشَّى لنلحق الشمس قبل غروبها.

عبود ـ أعفياني اليوم يا عقيد سعدون. . سأبقى هنا وأتسامر مع كاكه رسول.

رسول ـ (بحماس) والله هذا سروري يا كاكه عبود.

سعدون ـ (وهو ينظر إلى وحيد) هكذا؟! نحن إذن سنبقى معك ونشاركك سمرك مع كاكه رسول. . ماذا وراءنا في المصيف سوى الأكل والنوم والتمشّي والدردشة؟! (وهو ينظر إلى عبود مداعباً) ولكن أيمكن أن يشعر شيخ الشباب بالتعب؟!

عبود ـ (باسماً) ولماذا لا يمكن؟! ألا يحقّ لشيخ الشباب أن يشعر بالتعب؟

وحيد ـ معنى ذلك أنّك أجهدت نفسك يا أستاذ عبود في كتابة المقال.

عبود ـ هذا صحيح. . يجب أن يصل المقال، بعد غد إلى الجريدة.

وحيد ـ (بلهجة ساخرة) وإذا لم يصل بعد غد، ماذا سيحدث؟

عبود ـ (باستنكار) وماذا عن مسؤوليّتي تجاه الجريدة؟!

وحيد ـ قتلتنا بهذه المسؤوليّة يا أستاذ عبود. ستجهز عليك هذه المسؤوليّة يوماً.

سعدون ـ (بلهجة شبه مازحة) لا بدّ لك أن تعترف بعامل الزمن يا أستاذ عبود.

عبود ـ وما علاقة عامل الزمن بالمسؤوليّة؟

سعدون ـ (بلهجته شبه المازحة) اترك المسؤوليّة للشباب يا أستاذ عبود فأنت شبعت مسؤوليّة.

*) بلي: نعم (فارسيّة).

عبود ـ ومن قال لك إنّي لم أعد شابّاً؟!

سعدون ـ (بحماس) طبعاً فأنت شيخ الشباب يا أستاذ عبود.

رسول ـ (وهو يكركر) ما شاء الله على شبابك يا كاكه عبود!

عبود ـ هكذا إذن يا رسول؟! هل تراني أدليت رجليّ في القبر؟

رسول ـ استغفر الله كاكه عبود. . استغفر الله.

سعدون ـ كاكه رسول يقصد يا أستاذ عبود أنّك يجب أن تريح نفسك وتترك المسؤوليّة لغيرك في هذا العمر، فالمسؤوليّة تقصم الظهر.

رسول ـ أي والله كاكه سعدون. . المسؤوليّة تقصم الظهر.

عبود ـ هذا غير صحيح. . المسؤوليّة هي التي تحافظ على شباب الإنسان مهما تقدَّم به العمر.

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) بل قل هي التي تقصف عمر الإنسان قبل الأوان يا أستاذ عبود.

سعدون ـ مضبوط. . المسؤولية تشيخ الإنسان قبل الأوان.

عبود ـ هذا غير صحيح. . المسؤوليّة معناها تجدّد الحياة وهذا يكسب الإنسان الشباب الدائم.

(تتوقَّف سيَّارة فخمة عند باب الفندق ويترجَّل منها النزيل الجديد. يدخل ويتجّه مباشرة إلى رسول دون أن يلقي التحيّة على الموجودين)

النزيل الجديد ـ (لرسول) ألم يسأل عنّي أحد؟

رسول ـ لا والله كاكه.

النزيل الجديد ـ أنا أنتظر مكالمة مهمّة. . أرجو أن تحوّلها إلى غرفتي.

رسول ـ بلى كاكه.

(يرتقي النزيل الجديد السلّم إلى الغرف العليا)

عبود ـ (بعد لحظة) قل لي يا عقيد سعدون. . ألم تطلق عليّ لقب «شيخ الشباب»؟

سعدون ـ (بحماس) مضبوط، وأنا متمسِّك برأيي.

عبود ـ ألا تعرف أنّني في أواسط الستّين؟

سعدون ـ أعرف، لكنّك لا تبدو في هذه السنّ. . أنت تبدو في أواسط الأربعين.

عبود ـ (باسماً) هكذا؟!

سعدون ـ (بحماس) بشرفي أنت أكثر شباباً منّي يا أستاذ عبود.

عبود ـ (بلهجة جادّة) إذا كنت ترى ذلك حقّاً. . ألم تسأل نفسك عن السبب؟!

سعدون ـ (مفكِّراً) أصارحك بأنّني لم أسأل نفسي عن السبب يا أستاذ عبود.

عبود ـ أنا أقول لك السبب يا عقيد سعدون. إنّني أدين بشبابي لأمرين؛ الأوّل الشعور بالمسؤوليّة والثاني التفاعل مع أحداث الناس.

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) وكلا الأمرين يقصف العمر.

رسول ـ أي والله كاكه وحيد. . آخ من المسؤوليّة. . آخ من مسؤوليّة الأبناء!.

سعدون ـ مضبوط يا كاكه رسول. . مسؤوليّة الأبناء هي قاصمة الظهر في هذا الزمان الصعب.

عبود ـ (لرسول وهو يبتسم) ألهذا الحدّ يتعبك أبناؤك يا كاكه رسول؟

رسول ـ (وهو ينفخ بأسى) خلِّني كاتماً همّي يا كاكه عبود. . أين هم أبنائي؟ كبيرهم قُتل واثنان هربا إلى الخارج والشرطة تلاحقني بسببهما والصغير يهدّدنا يوميّاً باللِّحاق بأخويه وأمّهم تبكي عليهم ليلاً ونهاراً. . هذا ما نابني من مسؤوليّة الأبناء.

عبود ـ أنا حزين من أجلكم يا كاكه رسول. . (بعد لحظة) وعلى كلّ حال فهذه ظروف طارئة وإن شاء الله تزول يوماً.

رسول ـ (وهو يهزّ رأسه بحزن) بلي كاكه عبود. . لكننا والله نمرّ بهذه الظروف الطارئة منذ سبعين عاماً!

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) أرأيت يا أستاذ عبود؟ لولا الشعور بالمسؤوليّة ما تعرَّض كاكه رسول لهذه المتاعب.

سعدون ـ (بلهجة جادّة) الحقّ مع كاكه رسول يا سيّد وحيد. . فمسؤوليّة الأبناء باتت بثقل الجبال هذه الأيّام.

وحيد ـ الحمد لله الذي وقانا شرّ مسؤوليّة الأبناء.

عبود ـ نحن نتحدَّث عن المسؤوليّة بمعناها العام يا وحيد وليس عن مسؤوليّة الأبناء على نحو الخصوص.

سعدون ـ إنّني جرّبت المسؤوليّات من كلّ نوع يا أستاذ عبود فوجدت مسؤوليّة الأبناء أثقلها. . إنّها في ظروفنا الحاضرة قاصمة الظهر فعلاً. . لعنة الله على السياسة.

وحيد ـ ومن قال لك أن تتزوَّج وتأتي بالأبناء ثمَّ تلوم السياسة؟

سعدون ـ طبعاً ألوم السياسة يا سيِّد وحيد. . السياسة تغلغت في صميم حياتنا فأفسدت كلّ شيء. هي التي فكّكت عُرىَ الأسرة وأفقدت الآباء سيطرتهم على الأبناء وأضعفت دورهم في الأسرة. . السياسة جعلت مسؤوليّة الأبناء بثقل الجبال. . لعنة الله على السياسة.

رسول ـ أي والله كاكه سعدون. . لعنة الله على السياسة.

سعدون ـ (بعد لحظة) والسياسة هي التي تجعلنا قلقين على مصير ومستقبل أبنائنا طوال الوقت. صار الأب لا يعرف ماذا يمكن أن يحدث لأبنائه بسبب انغمارهم في السياسة. (ملتفتاً إلى عبود) هذه هي نتيجة الشعور بالمسؤوليّة يا

أستاذ عبود وأنت تقول إنّها تجدّد الشباب. (وهو يُهزّ رأسه كالمخاطب لنفسه) ويا ليت الأبناء يخفّفون عنّا مسؤوليّات الحياة اليوميّة التي تزداد صعوبة يوماً بعد يوم.. إنّهم يريدون منّا أن نخدمهم فحسب.. صاروا أنانيّين لا يهمّهم سوى أنفسهم.

عبود ـ (باسماً) هذه سنّة الحياة الدنيا يا عقيد سعدون.. أنت تخدم أبناءك وهم سيخدمون أبناءهم.

وحيد ـ (ضاحكاً) من زرع حصد يا عقيد سعدون وأنت زرعت فاحصد ما زرعت.. وعلى كلّ حال فمازلتَ في بداية مسلسل مسؤوليّات الأبناء. فأمامك مسؤوليّة إدخالهم إلى الكليّات المناسبة، ثمّ في ما بعد مسؤولية البحث عن وظائف لهم بعد تخرّجهم ، ثمّ فيما بعد مسؤوليّة المعاونة في زواجهم، ثمّ فيما بعد مسؤوليّة مساعدتهم في البحث عن مسكن مناسب.. إلى آخره.. إلى آخره.

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه مؤمناً) مضبوط يا سيِّد وحيد.

وحيد ـ (بلهجة ساخرة) لو كنت تشبَّهت بشاعرنا أبي العلاء المعرِّي يا عقيد سعدون لكنت كفيت نفسك مؤونة هذه المسؤوليّات. ولا تَنْس أنَّك جنيت على أبنائك بزجّهم في هذا المجتمع الأناني بينما كان بإمكانك أن تقول كما قال المعرّي:

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

عبود ـ مشاكل الأبناء لا تعفينا من مسؤوليّتنا تجاه استمرار الحياة يا وحيد، ولو فكّر كلّ شخص على طريقة المعرّي لخربت الدنيا. (وهو يبتسم) أمّا بالنسبة لك فأنت تقول ذلك تهرّباً من المسؤوليّة.. وأنت تستحقّ بجدارة لقب الهارب من المسؤوليّة.

وحيد ـ (وهو يطلق ضحكته الساخرة) وأنا أفتخر بهذا اللقب يا أستاذ عبود.

عبود ـ (وهو يزداد ابتساماً) ومادمت كذلك فماذا تعرف عن مسؤوليّة الأبناء؟!

وحيد ـ ألا يكفيني ما أسمعه عمّا يعانيه أرباب العوائل من هذه المسؤوليّات؟!

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) لا يا سيِّد وحيد. ليس من يده في النار كمن يده في الماء البارد.

رسول ـ أي والله كاكه سعدون.

عبود ـ (وهو يبتسم ابتسامة عريضة) إذن فأنت لاتزال مهتمّاً بمشاكل الناس يا وحيد.

وحيد ـ لا تفهمني خطأ يا أستاذ عبود، فأنا طلّقت مجتمعك ولا علاقة لي بمشاكله. وقد استعضت عن مخالطة الناس بمن هو خير منهم وهو الكتاب. وصدق شاعرنا المتنبِّي حين قال: «وخير جليس في الأنام كتاب».

سعدون ـ وكيف يستطيع الإنسان أن يقطع صلته بمعارفه يا سيِّد وحيد؟! هذا أمر صعب.

وحيد ـ الشهادة لله أنَّ معارفي هم الذين قطعوا صلتهم بي حين أصبحت غير نافع لهم فالتقطت منهم الخيط. (وهو يضحك بتهكُّم) الناس يجرون وراء مصالحهم يا عقيد سعدون أكانوا معارف أم أصدقاء أم أقارب.

سعدون ـ مضبوط يا سيِّد وحيد. الناس لا تهمّهم سوى مصالحهم. فهذا ما جرى لي أنا أيضاً، فمنذ أُحلت على التقاعد لم يعد يتفقّدني إلّا القليل من المعارف والأقرباء لأنّني لم أعد ذا نفع لهم في الوساطة بعد أن كان بيتي يغصّ بهم في المناسبات والأعياد.

وحيد ـ (بلهجة نصف جدِّيّة) ولكنّك لا تزال قادراً على الوساطة يا عقيد سعدون.. وإن كنت عقيداً متقاعداً.

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه بحزن) لا يا سيِّد وحيد. لم تعد وساطتي في «الدوائر» الحكوميّة ذات نفع منذ خلعت بدلتي العسكريّة. كانت بدلتي العسكريّة والنجوم التي تلتمع على كتفي تفتح لي الأبواب على مصاريعها.

وحيد ـ الحقّ معك، فالبدلة تعني للناس الشيء الكثير، (وهو يضحك) كان بعض زملائي لا يكترثون بالمراجعين الذين لا يرتدون ملابس مهندمة!

رسول ـ أي والله كاكه وحيد.

عبود ـ (وهو يبتسم) يبدو أنَّ احترامنا للبدلة قديم، وكلّنا يعرف قصّة أشعب حين مُنع من حضور وليمة لأنّه كان يرتدي ملابس خلقة فعاد إليها وهو يرتدي جبّة فخمة وراح يغرف الطعام بكمّها باعتبارها مسؤولة عن حضوره! (ضحك).

سعدون ـ (بعد لحظة وهو يهزّ رأسه بحزن) هذه هي حقيقتنا مع الأسف.

وحيد ـ (مخاطباً سعدون بلهجته الساخرة) معنى ذلك أنَّك صرت من عباد الله المستضعفين مثلنا يا عقيد سعدون.. تساويت معنا. فقدت الدلال الذي كنت تتمتّع به.

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه بحزن) أيّ دلال يا سيّد وحيد؟

وحيد ـ اسمع يا عقيد سعدون. هذه حقيقة لا يتناطح فيها كبشان، فالعسكر عندنا مدلّلون في جميع العهود وامتيازاتهم لا حصر لها.

عبود ـ (مبتسماً) هذا أمر طبيعي يا وحيد. أنسيت أنَّ بإمكانهم أن

يطيحوا بالحكومة في غمضة عين بل وأن يصبح أيّ واحد منهم المتصرّف بشؤون البلاد؟!

رسول ـ (وهو يكركر) أي والله كاكه عبود.

سعدون ـ لا تظلمونا يا إخوان ولا تنسوا أنَّ مسؤوليّتنا كبيرة، فنحن نضحّي بأرواحنا في سبيل الحفاظ على مصالح الشعب والوطن.

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) ليس دائماً يا عقيد سعدون، وربّما العكس هو الصحيح في كثير من الأحيان.

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) نحن مأكولون مذمومون كالسمك يا سيّد وحيد. فحياتنا عرضة للخطر أكثر من أيّة فئة أخرى من موظّفي الدولة، كما أنّنا معرَّضون لفقدان وظائفنا لأدنى شكّ في ولائنا للسلطة، فنُلقى في الشارع ونعجز عن القيام بأيّ عمل آخر. ويكون الأمر بالنسبة لنا كمن يهبط من السماء إلى الأرض.

وحيد ـ (بلهجة قاسية) ليس جميعهم يا عقيد سعدون. إنَّ بعضكم من الضالعين مع السلطة أصبحوا من أكبر التجّار ومن أثرى الأثرياء وقصورهم هي أفخم القصور حتّى وإن خرجوا على التقاعد.

سعدون ـ أنت تظلمنا يا سيّد وحيد ولا يمكن أن يحترق الأخضر باليابس.

عبود ـ (لسعدون مبتسماً) الحقّ معك يا عقيد سعدون، فوحيد يبالغ في قوله، ولكنّك أنت أيضاً تبالغ. فليس معنى إحالة الضابط على التقاعد أن يكون كمن يهبط من السّماء إلى الأرض.

سعدون ـ هذه هي الحقيقة يا أستاذ عبود. فنحن لا نُحسن أيّ عمل آخر. كما أنَّ الناس لا يبقون على احترامهم السابق لنا. (وهو يهزّ رأسه بحزن كالمخاطب لنفسه) أين كنّا وأين صرنا؟! من كان يجرؤ على إطالة الكلام معي حينما يدخل عليّ مكتبي؟! حتّى كبار الضبّاط كانوا يعترفون بهيبتي، فالكلّ كان يعرف مدى صرامتي. وأمّا اليوم فلم يعد حتّى أبنائي يعترفون لي بهذه الهيبة.

عبود ـ هذا غير صحيح يا عقيد سعدون.. ما هذا سوى تخيّلات.

سعدون ـ (بلهجته الحزينة) لا يا أستاذ عبود.. ليست تخيّلات. أبنائي أخذوا يتمرّدون على مسؤوليّتي تجاههم منذ أُحلت على التقاعد. ما عدت في نظرهم ذلك الشخص المهيب الذي كانت سيّارة الجيش الفاخرة تقف على باب منزله صباح كلّ يوم لتقلّه إلى عمله.

وحيد ـ (بلهجة نصف جدّيّة) لكن المفروض أنّك ربّيت أبناءك حسب النظام العسكري الصارم يا عقيد سعدون.

سعدون ـ المفروض شيء والواقع شيء آخر يا سيّد وحيد. (وهو يهزّ رأسه بمرارة) وهم الآن يتّهمونني بأنّني نقلت سلطتي العسكريّة كاملة إلى البيت بعد أن فقدتها في الوظيفة.

وحيد ـ (بلهجة نصف مازحة) أنا لا أستبعد ذلك يا عقيد سعدون ولاسيّما أنَّ الكثيرين من الضبّاط يفقدون هيبتهم أمام الناس بعد التقاعد فينقلون عنجهيّتهم إلى بيوتهم.

(يهبط النزيل الجديد وينتحي مقعداً منزوياً في الصالة دون أن يلفت إليه انتباه الموجودين)

عبود ـ (بلهجة جادّة) لعلّلك قمت بذلك فعلاً يا عقيد سعدون بدون أن تقصد ذلك أو تشعر به.

سعدون ـ ولنفرض ذلك يا أستاذ عبود.. ألا تتطلّب منّي مسؤوليّتي تجاههم المحافظة على حياتهم ومستقبلهم في هذا الزمن الصعب؟! وأنا لم يبق لي من مهمّة في الحياة سوى الاهتمام بتربية أولادي والحرص على مستقبلهم، فهل أستحقّ كلّ ذلك ما يجابهونني به من تمرُّد؟

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) ذنبك على جنبك يا عقيد سعدون. من الذي أجبرك على الزواج وإنجاب الأبناء وتحمّل هذه المسؤوليّة؟! ما الذي دعاك إلى كلّ هذا العناء؟!

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) بشرفي أنت محقّ في ذلك يا سيّد وحيد. فما الداعي إلى كلّ هذا العناء فعلاً؟! وما نتيجته؟! نتيجته أنَّ كلَّ واحد من الأبناء سيتركنا حتماً حينما يحين الحين ويجري وراء مصلحته. وقد يتفضّل علينا بالزيارة كلّ أسبوع مرّة ويجلس معنا نصف ساعة على عجل لأنّه مشغول بأسرته الجديدة وبأعماله الخاصّة، أو ربّما لن يجد وقتاً لزيارتنا إلاّ كلّ شهر مرّة. وليس لنا إلاّ أن نستسلم للإهمال والوحشة والوحدة ومصاعب الحياة في كبرنا.

عبود ـ (مبتسماً) هذه سنّة الحياة الدنيا يا عقيد سعدون، وما يجري لك يجري لغيرك وهو ليس مبرّراً للمرء كي يتخلّى عن مسؤوليّته في تكوين عائلة وإنجاب أبناء.

سعدون ـ (محتجّاً) ولكن هذا سلوك خاطئ وما هكذا أوصى الله الأبناء بالآباء. إنّه سلوك مرفوض.

عبود ـ (وهو يبتسم ابتسامة وادعة) يجب ألاّ ننظر إلى الأمر على هذا النحو يا عقيد سعدون. هذه سنّة الحياة الدنيا. فأنا مثلاً حدث لي ذلك لكنّني لا أشعر تجاهه بمثل هذه المرارة. فقد تركنا ابننا الوحيد وهاجر مع علمه بما نقاسيه في سنّنا هذه من صعوبات الحياة، وما تعانيه أمّه بالذات من مشاعر الوحدة والوحشة لافتقادها ابنها الوحيد.

سعدون ـ إذا كان ابنك فعل ذلك وأنت المربّي الكبير يا أستاذ عبود

فكيف بأبناء الآخرين؟! ولكن لماذا تركته يفعل ذلك؟

عبود ـ وماذا بيدي يا عقيد سعدون؟! نحن الآباء لا نملك سوى النصيحة والأبناء أحرار بما يفعلونه بحياتهم، فحياتهم ملكهم يتصرّفون بها على النحو الذي يروق لهم، وكونهم أبناءنا لا يعني أنّهم ملك لنا.

سعدون ـ (محتجّاً) لا. لا يا أستاذ عبود. هذه الحرية المطلقة التي تُمنح للأبناء مرفوضة، وهي التي أوصلتهم إلى هذا التحلّل والأنانيّة وعدم الالتزام. كيف يجوز لهم أن يتنكّروا لمسؤوليّتهم تجاه الأبوين؟! أليست هذه المسؤوليّة هي أقدس أنواع المسؤوليّات؟

رسول ـ أي والله كاكه سعدون.

عبود ـ يا عقيد سعدون، علينا أن نعترف بأنّ حرّيّة الإنسان في التصرُّف بحياته هي فوق كلّ شيء. فإذا اتّخذ أبناؤنا قراراً في التصرُّف بحياتهم على نحو معيّن فلا يحقّ لنا أن نمنعهم. إنّها حياتهم وليست حياتنا، وأنا شخصيّاً لم أكن متّفقاً مع ابني في قراره بالهجرة واعتبرته هروباً من مواجهة الواقع، لكنّه كان مقتنعاً بصحّته فلم يكن لي بدّ من التسليم به.

سعدون ـ ولماذا كان مقتنعاً به؟

عبود ـ (وهو يبتسم بمرارة) كان يقول إنّه استخلصه من مجريات حياتي.

سعدون ـ وكيف ذلك يا أستاذ عبود؟

عبود ـ كان يقول إنّه اقتنع بأنّه مهما أخلص في عمله فلن يكون أكثر إخلاصاً منّي، ومهما تحمّس لخدمة بلده فلن يكون أشدّ حماساً منّي، وفي رأيه أنّني كوفئت على مسلكي بالجحود والنكران. ولذلك قرّر أن يعيش في بلد يجني فيها ثمار جهده وإخلاصه.

سعدون ـ ابنك محقّ في رأيه يا أستاذ عبود، فكلّ من يعرفك يعلم أنّك كنت من أكفأ وأنزه موظّفي الدولة. ومع ذلك أُوقفت عن العمل قبل سنّ التقاعد وحُرمت البلاد من كفاءتك. وإنّه لشيء مؤسف أن يكون هذا مصير النزيهين والملتزمين بالمسؤوليّة في بلدنا. (وهو يهزّ رأسه كالمحدِّث نفسه) وأنا؟! ما الذي جلب عليّ البلوى؟! أليست هي نزاهتي وحنبليّتي والتزامي بالمسؤوليّة؟! وكم نصحني الناصحون أن أكون واقعيّاً وأماشي الأوضاع فسخرت منهم متصوِّراً أنّ نزاهتي وكفاءتي هما خير حماية لي، ويا ليتني اتبعت نصائحهم! ولكن ما فائدة الندم بعد خراب البصرة وبعد أن أُحلت على التقاعد وأنا في أوائل الأربعين (وهو يهزّ رأسه) وكلّ ذلك من بلاوي السياسة لعنة الله عليها.

رسول ـ أي والله كاكه سعدون.

وحيد ـ (بلهجة جادّة) أنت تدهشني بهذه الأقوال يا عقيد سعدون. وكأنّ ما حدث لك أو للأستاذ عبود أمر شاذ. ألم يحدث للآلاف غيركما؟! ألم أُفصل أنا من وظيفتي بسبب السياسة؟! لقد كنت بين زملائي أشدّهم حماساً للمسؤوليّة والتزاماً بالمُثل. (وهو ينظر إلى عبود نظرات ساخرة) ويريدنا الأستاذ عبود أن نلتزم بالمسؤوليّة لنحافظ على شبابنا إلى آخر العمر!

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) حقيقة ليس وراء الالتزام بالمسؤوليّة سوى البلاوي.

عبود ـ إنّ حدوث التجاوزات بسبب السياسة لا يعني التخلّي عن الإلتزام بالمسؤوليّة تجاه المجتمع.

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) وأيّ مجتمع يا أستاذ عبود؟! أؤكّد لك أنّ أيّ فرد من هذا المجتمع لم يستنكر الظلم الذي وقع عليّ ولم يرفع أيّ واحد من زملائي صوتاً ضدّه. (وهو يضحك ضحكة متهكّمة) بل إنّ زملائي انفضّوا عنّي وكأنّني صرت أجربَ يُخشى العدوى منه. (وهو يهزّ رأسه بأسى) كلّ ما كان يهمّهم هو التملّق للرؤساء ولذوي النفوذ! (وهو ينظر إلى عبود نظرة قاسية) كفاك يا أستاذ عبود حماساً للمسؤوليّة، ودفاعاً عن هذا المجتمع الأنانيّ وكن واقعياً وأرح نفسك.

عبود ـ (وهو يبتسم) ليس معنى فصلك من الوظيفة نتيجة لأخطاء السياسة وتعسّفها أن تغضب على المجتمع بكليته وتقاطعه، وأنت مازلتَ في ريْعان العمر يا وحيد.

وحيد ـ (وهو يبتسم بمرارة) صدِّقني يا أستاذ عبود. . ليس هناك أحد في المجتمع يستأهل التضحية من أجله!

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) مضبوط يا سيِّد وحيد.

عبود ـ (وهو يبتسم) فهل يتوجّب عليّ إذن أن أقاطع المجتمع وأعيش في برج عاجيّ مثلك يا وحيد؟

وحيد ـ (بلهجة متهكّمة) العاقل من اتّعظ يا أستاذ عبود.

عبود ـ (بجدّ) أوَتريدني أن أشيخ قبل الأوان يا وحيد؟! يجب أن تعلم أنّ اعتزالَ الناس هو الذي يُسرع بالإنسان إلى الشيخوخة، ولا بدّ للمرء أن يتفاعل مع أحداث الناس وإلاّ يعيش على هامش الحياة إذا أراد أن يعيش حياة صحيحة.

وحيد ـ بل العكس هو الصحيح يا أستاذ عبود.

عبود ـ ولكن إذا وقف كلّ شخص من الحياة والمجتمع مثل موقفك السلبي هذا يا وحيد، فمن الذي سيتولّى إصلاح الأوضاع الخاطئة إذن؟!

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) أنسيت يا أستاذ عبود المقولة الشعبيّة «لا تفكّر لها مدبِّر»؟

عبود ـ وأنت أيضاً يا وحيد عليك ألاّ تنسى المقولة المقابلة لها «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً». ومن يهتمّ بالدنيا لا يمكن أن يتخلّى عن العمل من أجل الإصلاح.

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) ومن يهتمّ بالذين يعملون من أجل الإصلاح يا أستاذ عبود؟ وحالك خير مثال على ذلك.

وحيد ـ (بلهجة جادّة) فعلاً. أفلا ترى يا أستاذ عبود أنّ جهودك الإصلاحيّة خلال حياتك الوظيفيّة الطويلة ذهبت كلّها أدراج الرياح بل وأُبعدت عن العمل قبل الأوان؟

عبود ـ وهل يعني إبعادي عن العمل التخلّي عن مسؤوليّتي تجاه المجتمع؟! وإذا كنت أبعدت عن العمل الحكومي فمازال أمامي مجال آخر وهو الصحافة، أو مقالاتي الأسبوعيّة في جريدة الكفاح تطمئن في نفسي شعوري بالمسؤوليّة تجاه المجتمع.

سعدون ـ وهي مقالات يتابع قراءتها باهتمام الكثيرون من الناس يا أستاذ عبود والحقّ يُقال.

وحيد ـ فلنكن صريحين يا أستاذ عبود. إذا كنت لم تستطع وأنت في الحكومة أن تحقّق آراءك، فما بالك وأنت خارج الحكومة؟ ومن الذي يأخذ بالآراء والدعوات التي تنشرها في جريدة الكفاح أو في غيرها؟!

سعدون ـ لا. لا يا سيّد وحيد. لا يمكن أن تقول هذا عن مقالات الأستاذ عبود فهي تحظى بتأييد الكثيرين من الناس.

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) وهل تتصوّر حقّاً يا عقيد سعدون أنّ مقالات الأستاذ عبود قد أكسبته أهميّة حقيقيّة لدى الناس؟ تأكّد أنّه لو دخل في مشاكل مع السلطة لما سأل عنه أحد، ولكان حال الناس معه حال اليهود حين قالوا لموسى «اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون». (ملتفتاً إلى عبود) ولنكن صريحين يا أستاذ عبود، ما مدى تأثير آرائك التربويّة في الجيل الجديد، وأعني التلاميذ، وما مدى استجابتهم لها في رأيك؟

عبود ـ (وهو يبتسم ابتسامة حزينة) وهل هناك بينهم من يقرأ مقالاتي أو كتبي يا وحيد؟!

وحيد ـ ها أنت ذا أجبت عن سؤالي يا أستاذ.

سعدون ـ (وهو يهزّ رأسه) حقيقة يا أستاذ عبود.. إنّ أوضاع الجيل الجديد من التلاميذ ساءت عمّا عهدناه في أيّامنا، فهم لا يهتمّون بالآراء الإصلاحيّة. لم يعد التلاميذ يشعرون بالاحترام القديم نحو المدرسة والمعلّمين. وما أبعد الفرق بين ما كنّا نشعر به من احترام وتبجيل لمدرّسينا وما يشعر به الجيل الجديد من استهانة بالمدرسة والمدرّسين.

رسول ـ أي والله كاكه سعدون.. كنّا نحترم المعلّمين أكثر ممّا نحترم آباءنا. كنّا نخجل من مواجهة معلّمينا في الطريق فنأخذ طريقاً غير الذي يمشي فيه المعلّم.

سعدون ـ مضبوط.. والمدرسة هي المسؤولة عن ذلك، كانت المدرسة تعلّم التلاميذ احترام الصغير للكبير وتبجيل الأباء وطاعتهم والالتزام بمكارم الأخلاق. وأمّا اليوم فقد ضعف دورها في تربية النشء ولم يعد لها شأن بتلقين هذه الفضائل الأخلاقيّة. وكلّ ذلك بسبب السياسة. لعنة الله على السياسة. أصبحت هي الأساس وما عداها لا أهميّة له، وحتّى عندنا في الجيش لم يعد الضبّاط يحترمون من هم أعلى مرتبة منهم بسبب السياسة. ولا شكّ أنّ الضبط العسكري في الماضي كان أقوى بكثير ممّا هو عليه اليوم.

عبود ـ للأسف هذه حقيقة لا نستطيع إنكارها. فأوضاع المدارس في السابق كانت أفضل ممّا هي عليه في الحاضر، والمستوى العلمي للتلاميذ تدهور عمّا كان في الماضي. ولعلّ تدخّل السياسة فعلاً في شؤون الطلبة والمدارس قد أضعف نفوذ المدرسة التربوي.

وحيد ـ وما العجب في تدهور أخلاق التلاميذ؟! أليس التلاميذ هم جزء من المجتمع الكبير؟! وكلّنا يعلم أنّ أخلاق الناس تدهورت عمّا كانت عليه في الماضي فتراجع الصدق والأمانة والنزاهة وتفشّى النفاق والانتهازيّة والنفعيّة.

سعدون ـ مضبوط يا سيّد وحيد. وكلّ ذلك بسبب السياسة.. لعنة الله على السياسة.

رسول ـ (وهو يهزّ رأسه) أي والله كاكه وحيد.

عبود ـ الناس يشكون دائماً من تدهور الأخلاق والمُثل في جيلهم عن الجيل السابق يا وحيد. وينبغي ألاّ تثبّط هذه الشكوى من عزم المخلصين أو أن تجعلهم يتخلّون عن مسؤوليّتهم تجاه المجتمع.

سعدون ـ لكن المسؤوليّة معناها المتاعب يا أستاذ عبود في هذا الزمن الصعب الذي سيطرت فيه السياسة على حياتنا. (وهو يهزّ رأسه) لعنة الله على السياسة. نغّصت علينا عيشتنا.

وحيد ـ طبعاً لأنّها أفسدت أخلاق الناس وعلّمتهم الانتهازيّة والنفاق والجبن.

رسول ـ أي والله كاكه وحيد.. دمّرت السياسة حياتنا.

النزيل الجديد ـ (يهتف فجأة من ركنه المنزوي بلهجة عدائيّة) مالها السياسة؟! إنّها هي التي تنضج الإنسان وتجعله يفكّر بالآخرين، هل يمكن أن يعيش اليوم أيّ

مجتمع متقدِّم بدون سياسة؟!

(يلتفت الجميع نحوه بدهشة ويلوح على وجوههم الاستغراب وكأنَّهم فوجئوا بوجوده. تمرّ لحظة يشوبها التوتّر والإحراج)

سعدون ـ (وهو يبتسم ابتسامة متكلّفة) نحن لم نتشرَّف بمعرفة السيِّد.

النزيل الجديد ـ (بلهجته العدائيّة) ليس المهمّ أن تتشرَّفوا بمعرفتي لكن المهمّ أنَّني مواطن شريف من واجبه أن يصحّح الآراء التخريبيّة، إذا بلغت سمعه.

عبود ـ (بلهجة هادئة) ولكن أفلا تعتقد أيّها الشاب أنَّ من حقِّ كلّ إنسان أن يعبّر عن آرائه الشخصيّة ويطرحها للمناقشة؟

النزيل الجديد ـ لا، ليس من حقّ الشخص أن يطرح آراءه للمناقشة إن لم تكن سليمة. يجب على كلّ مواطن شريف أن يراعي الدقّة في أقواله وألّا يزيّف الحقائق.

وحيد ـ (بلهجة خشنة) اسمع يا أخ. نحن كنّا نتحدَّث حديثاً خاصّاً فيما بيننا كأصدقاء ولم نكن في مناقشة عامّة أمام الجمهور حتَّى نزيِّف الحقائق له.

سعدون ـ (في لطف) مضبوط يا سيِّد. كنَّا ندردش مع بعضنا. كان كلامنا نوعاً من دردشة الأصدقاء لا أكثر ولا أقلّ. (وهو يضحك ضحكة مفتعلة) ونحن في المصيف والوقت لا ينقضي إلّا بالنوم والتمشّي والدردشة.

النزيل الجديد ـ ومع ذلك كانت هذه الأقوال التي تسمّيها دردشة مليئة بالدسّ والافتراء وتشويه الحقائق.

عبود ـ (بلهجته الهادئة) وأين الدسّ والافتراء فيما كنّا نتبادله من حديث؟!

النزيل الجديد ـ كلّ ما كنتم تقولونه عبارة عن دسّ وافتراء وتشويه للحقائق. ألم تقل أنت نفسك إنَّ أوضاع المدارس كانت في السابق أفضل ممَّا هي عليه في الوقت الحاضر؟ ألم يقل السيِّد الضابط المتقاعد إنَّ الضبط العسكري كان في الماضي أفضل ممَّا هو في الحاضر؟! ألم يقل السيِّد الذي لا أدري ما عمله إنَّ أخلاق الناس تدهورت عمَّا كانت عليه في الماضي؟!

وحيد ـ (بغلظة) وما علاقتك أنت بهذه الأقوال؟

النزيل الجديد ـ (في صلف) لا عجب أن يسأل شخص مثلك مثل هذا السؤال، فمن الواضح أنَّك تتعمَّد الإساءة إلى سمعة النظام.

وحيد ـ (بلهجة غاضبة) ومن أورد في كلامه ذكر النظام؟

سعدون ـ (بلهجة مضطربة) لا. لا يا سيِّد. أنت مخطئ في تصوّراتك. أنت أسأت فهم كلامنا. لم يكن لحديثنا أيّ علاقة بالنظام. كنّا ندردش في الجوانب السلبيّة من سلوك الناس بما فيهم أبناؤنا.

النزيل الجديد ـ ألم تقل أنت نفسك إنَّ السياسة أفسدت المدارس والجيش؟!

سعدون ـ (في اضطراب) لا يا سيِّد، لا. أرجوك.. لا تشوّه كلامي.. أعني لا تُسئ تفسير كلامي. أنا لم أقصد أنَّ رجال السلطة هم المسؤولون عن ذلك، بل قصدت عدم فهم الناس لجوهر السياسة. فما علاقة رجال السلطة بما يحدث من أخطاء وتجاوزات من قبل الناس؟

عبود ـ (بلهجة هادئة) الواقع يا ابني.. واسمح لي أن أناديك بذلك فأنت في سنّ ابني إن لم تكن أصغر منه...

النزيل الجديد ـ (مقاطعاً باستخفاف) لكنّني لا أسمح لك أن تناديني «ابنك» فأنا لا أرتضي لأبي أن يحمل مثل أفكارك.

عبود ـ (وهو يبتسم) على راحتك.

سعدون ـ (وهو يبتسم في لطف مصطنع) اسمح لي يا سيِّد أن ألفت نظرك إلى خطئك. فأنت على ما يبدو لا تعرف الأستاذ عبود...

النزيل الجديد ـ (مقاطعاً باستخفاف) ومن يكون الأستاذ عبود؟

سعدون ـ أعني أنّك لا تعرفه معرفة حقيقيّة... (وهو يضحك ضحكة متكلِّفة) والحقّ معك فأنت لاتزال شاباً صغيراً.. إنَّه من أهمِّ كتَّابنا الاجتماعيّين ومن أكبر المربِّين في بلادنا، وإنَّ التعليم في بلادنا يدين له بفضل عظيم، والكلّ يعترف بخدماته الجليلة في حقل الثقافة والتربية والتعليم..

النزيل الجديد ـ (مقاطعاً باستهزاء) معلوم.. معلوم.. هذا ما يقوله جميع رجال العهد البائد عن أنفسهم. لقد بُنيت البلاد على أكتافهم ولولاهم لما تحقّق أيّ تطوّر.. وما نشهده من تطوّر اليوم هو من صنع أيديهم.

عبود ـ (مبتسماً) وأنت ما رأيك أيّها الشاب؟! ألا ترى أنَّ هناك شيئاً من الصحّة في هذه الأقوال؟!

النزيل الجديد ـ (وهو يطلق ضحكة هازئة) رأيي أنا؟ رأيي أنّ هذه أكبر أكذوبة يمكن أن يطلقها الإنسان.. رأيي أنَّ رجال العهد البائد حفنة من المصلحجيّة الذين لا يؤمنون بمبادئ وكلّ ما يسيّرهم هو مصالحهم الشخصيّة..

وحيد ـ (بخشونة) اسمع يا أخ. أعتقد أنَّ من أبسط قواعد الذوق

واللياقة ألاّ يتهجّم الشخص على أُناس لا يعرفهم.

عبود ـ (بلهجته الهادئة وهو يبتسم) ألست مبالغاً في أحكامك أيّها الشاب؟! أعني أنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ جوانب من التقدُّم قد تحقّقت في البلاد قبل قيام النظام الحالي.

النزيل الجديد ـ أيّ نوع من التقدُّم؟! إنّه ليس سوى قشور. لم يكن ممكناً أن يتحقّق أيّ تقدُّم في الأنظمة البائدة لأنّها كانت تفتقد الايديولوجيّة. فكيف تتوقّع من مسؤولين بلا ايديولوجيّة أن يخدموا البلاد خدمة حقيقيّة؟

وحيد ـ (في تهكّم) إذن فهل تتفضّل يا أخ فتبصّرنا بالخدمات التي قدّمها أصحاب الايديولوجيّة للبلاد سوى أنّهم فرضوا عليها الحكم الدكتاتوري واحتكروا الحكم لأنفسهم وفازوا بالثروات والمكاسب والمناصب العليا؟

النزيل الجديد ـ (بلهجة حادّة) لا عجب أن يسأل شخص مثلك هذا السؤال، ونحن نعرفكم أنتم رجال الطابور الخامس الذين يعلمون بكلّ الوسائل الشيطانيّة لتقويض النظام كيما يحلّوا محلّه أنظمة فاسدة تخدم مصالحهم الأنانيّة الضيّقة.

وحيد ـ (في غضب وهياج) اسمع. اضبط لسانك وأعرف كيف تتكلّم مع الغير.

سعدون ـ (في اضطراب) لا موجب للحدّة بيننا يا إخوان فكلامنا ليس سوى دردشة.

عبود ـ (بلهجته الهادئة) أنت أيّها الشاب بالغت في اتّهاماتك. ولا يصحّ أن ترمي كلّ من يخالفك الرأي بهذه التهم الجائرة. ومن حقّ أيّ مواطن أن يعبّر عن أرائه إذا ما تحدَّث مع معارفه ولا يحقّ لأيّ إنسان مهما كان أن يمنعه. فهذه من أبسط حريّات الإنسان.

النزيل الجديد ـ (بلهجة متهكّمة) طبعاً من حقّ أيّ إنسان أن يعبّر عن آرائه. فمن ينكر حريّة الإنسان في التعبير عن آرائه؟ لكن ما تقوله هو كلمة حقّ أُريد بها باطل. ويجب ألاّ تكون آراء الشخص باطلة هدفها الدسّ وتشويه الحقائق والافتراء على النظام الوطني.

عبود ـ ومن لديه حقّ احتكار الحكم على آراء الآخرين أيّها الشاب واعتبارها باطلة؟! من لديه حقّ في أن يفكّر نيابة عن الآخرين؟

النزيل الجديد ـ الآراء الباطلة لا تحتاج إلى عبقريّ لتمييزها.

سعدون ـ (وهو يبتسم ابتسامة مغتصبة) من الطبيعي أن تختلف آراء الناس يا سيِّد هناك دائماً الرأي والرأي الآخر. ولكنّنا متّفقون جميعاً على إخلاص رجال النظام.. (وهو يضحك ضحكة متكلّفة) ثمَّ إنّنا كنّا ندردش دردشة مصيف يا سيّد لا أكثر ولا أقلّ ولم يكن حديثنا جديّاً أصلاً.

النزيل الجديد ـ (بلهجة صارمة) لكن من واجب كلّ شخص أن يحرص على سلامة أقواله مادام يتحدَّث في مكان عام.

وحيد ـ (وهو يهزّ رأسه) مضبوط يا سيِّد.. مضبوط.

وحيد ـ (بلهجته الغاضبة) اسمع. هذا ليس مكاناً عامّاً. ونحن كنّا نتحدَّث فيما بيننا كأصدقاء ولم يسألك أحد منّا أن تحشر نفسك بيننا وتشاركنا الحديث.

النزيل الجديد ـ (بلهجته الصلفة) أنا لست بحاجة إلى إذن منك لمشاركتكم في الحديث، ولا إلى رخصة منك لكي أعترض على ما أسمعه من دسّ وتشويه للنظام.

وحيد ـ (بلهجته الساخرة) ومن نصَّبك قيِّماً على النظام؟!

النزيل الجديد ـ كلّ مواطن شريف مسؤول عن حماية نظامه الوطني. وأمّا غير الشرفاء فهم الذين لا يعنيهم الأمر.

وحيد ـ (وقد استشاط غضباً) اسمع. أظنّك بلغت الغاية في قلّة الأدب وفي تطاولك على الغير. (ملتفتاً إلى رسول) كاكه رسول.. إمّا أن تطرد هذا الدعيّ أو نترك لك الفندق.

سعدون ـ (في اضطراب) يا إخوان لا داعي للحدّة... كلّنا إخوان ولا داعي للحدّة فيما بيننا.. وهناك دائماً الرأي والرأي الآخر.. ثمَّ إنَّ كلامنا ليس سوى دردشة.

رسول ـ (في انزعاج) كيف تتركون الفندق يا كاكه وحيد؟! أنا أفضّل أن أغلق فندقي على أن تزعل منِّي أنت أو كاكه عبود أو كاكه سعدون.. غيركم هو الذي يجب أن يترك الفندق إذا لم يعجبه النزلاء.. والله أنتم عندي أغلى من الفندق.

النزيل الجديد ـ (وهو يرمق رسول بغضب) الحقّ معك.. إنَّ الطيور على أشكالها تقع. وليس أنت الملام بل الملام من ينزل في فندقك الذي ليس سوى وكر للمخرِّبين. (وهو ينهض وينظر إلى الجميع شزراً) ولكن تأكّدوا أنّني سأعمل على جعلكم تندمون على ما بدر منكم من أقوال.

(يرتقي السلّم عجلاً ويختفي. يسود صمت متوتِّر بضعة دقائق. وقد ارتسم الغضب والاشمئزاز على وجوه الجميع).

رسول ـ (يدمدم لنفسه) الله بلانا بلوة!

سعدون ـ (بلهجة قلقة) كان من الخير لنا لو تجنّبنا النقاش معه

وكلّمناه على قدر عقله.

وحيد ـ وهل نحن الذين احتككنا به أم هو الذي فرض نفسه علينا؟

عبود ـ هذا صحيح. فنحن لم نقل شيئاً يثير غضبه.

(يرنّ جرس التلفون فوق مكتب رسول. يرفع رسول السمّاعة ويتسمّع لحظات ثمّ يعيدها إلى موضعها وقد بان القلق على وجهه)

رسول ـ (بلهجة مرتبكة نوعاً ما)إنّه طلب التحدُّث مع أحد المسؤولين.

سعدون ـ (وهو يحاول إخفاء اضطرابه) هذه بادرة شؤم.. من أين ساق الله لنا هذا البلاء لينغّص علينا مصيفنا؟

وحيد ـ (باستهانة) ما لك تبدو مهموماً يا عقيد سعدون؟! هذا الجلف لا يستحقّ منك هذا الاهتمام.

سعدون ـ (بلهجته القلقة) ما يدرينا من يكون هذا الشخص يا سيِّد وحيد؟ نحن لا نعرف حتّى ماذا يعمل.

عبود ـ لا أظنّه شخصيّة هامّة يا عقيد سعدون. أغلب الظنّ أنّه يحاول أن يضفي على نفسه أهميّة لا يمتلكها.

سعدون ـ إن لم يكن شخصيّة هامّة فهو أكثر خطراً يا أستاذ عبود.

(ملتفتاً إلى رسول) هل تعرف عنه شيئاً يا كاكه رسول؟

رسول ـ لا والله كاكه سعدون.

سعدون ـ (بلهجته القلقة) الله العالم ماذا يعمل! ونحن انطلقنا على سجيّتنا في حضوره نقول كلّ ما يخطر على بالنا.

عبود ـ لا داعي لقلقك يا عقيد سعدون.. نحن لم نقل شيئاً ذا بال.

سعدون ـ أنت تعلم يا أستاذ عبود كيف يحوّر أمثال هؤلاء الأشخاص أقوال الآخرين ليلقوهم في بليّة.

وحيد ـ (في تهكُّم) فهل تريدنا أن نكمّم أفواهنا حتّى ونحن في هذا المكان يا عقيد سعدون؟! ثمّ ما الداعي لقلقك أنت بالذات؟! لقد كنت تجامله طول الوقت.

سعدون ـ أنا ضابط يا سيِّد وحيد وإن كنت متقاعداً. والضابط يظلّ عليه علامة استفهام حتّى يموت. وأنا في غنى عن المشاكل التي لحقتني بسبب حنبليّتي.. ولا يُلدغ المؤمن من جحر مرّتين، ولست وحيداً مثلك يا سيِّد وحيد.. ورائي مسؤوليّة الأبناء ومستقبلهم. وأنت تعرف المقولة القديمة «أُنج سعد فقد هلك سعيد».

وحيد ـ (يلتفت إلى عبود بسخرية) وأنت تلومني يا أستاذ عبود على عزلتي عن المجتمع. هذه هي نتائج الاحتكاك بالناس.

عبود ـ (مبتسماً) ومع ذلك فأنت برهنت على أنّك لا يمكنك العيش بمعزل عن مشاكل المجتمع يا وحيد، وأنّك لا بدّ أن تدافع عمّا تراه حقّاً ما دمت ذا ضمير حيّ.

وحيد ـ (وهو يضحك ضحكة متهكّمة) ما أكثر ما تُكلّف الضمائر الحيّة أصحابها من متاعب.

عبود ـ لكن هذه المتاعب هي التي تعبّد للبشر طريقهم الطويل نحو المجتمع الأمثل يا وحيد.

سعدون ـ وهل يمكن أن يتحقّق مثل هذا المجتمع على الأرض يا أستاذ عبود؟ إنّه حلم أمثالك فحسب.. وهو حلم لا أكثر ولا أقلّ؛ نحن راضون أن نعيش بأدنى ما يمكن أن يتحقّق للإنسان من إنسانيّته.. نحن نريد أن نعيش في طمأنينة فحسب. ومع ذلك فالمشاكل تطاردنا رغماً عنّا. ماذا يدرينا ماذا ستثمر لنا دردشتنا هذه من متاعب؟!

رسول ـ أي والله كاكه سعدون.. الله يكون في عوننا.

(يلوح صمت متوتّر على وجوه الجميع وتشخص أبصارهم القلقة في الفضاء بينما تهبط الستارة ببطء)

ستار الختام

ـ صنعاء ـ